المحور الثاني: رواد علم الاجتماع: ابن خلدون وأوغست كونت

أولا: ابن خلدون (1332-1406)

استكشف ابن خلدون نظريات المجتمع، وأساس السيادة أو العصبية (التضامن الاجتماعي)، وصعود وانحدار الدول. وُلِد في تونس، حيث توفي والداه بسبب الطاعون في عام 1349، قضى ابن خلدون معظم حياته في شمال إفريقيا وإسبانيا. تُشير أصول عائلته الأندلسية إلى أن خلفيته الإسبانية منحت ابن خلدون منظورًا مختلفًا وفريدًا عن السائد المسلم في شمال غرب إفريقيا والشرق.

يُعتبر ابن خلدون أحد الشخصيات الأكثر أهمية في تاريخ العالم الإسلامي. جلبت سمعة مقدمة ابن خلدون كعمل بارز الكثير من الاهتمام له. قام ابن خلدون بتدريس نظرياته حول المجتمع، وأساس السيادة أو العصبية، وصعود وانحدار الدول، وغيرها من الموضوعات التي تم تناولها في المقدمة. وصف ابن خلدون الظواهر الاجتماعية ووضعها في سياق الأحداث التاريخية.

"كما تكلم عن العلم الجديد" لابن خلدون

تُفسَّر "العلم الجديد" لابن خلدون على أنها علم تنظيم المجتمع البشري، ويُنظر إليها عمومًا على أنها علم الاجتماع. أشار ابن خلدون إلى أن هذا العلم له "موضوع خاص به – وهو الحضارة الإنسانية والتنظيم الاجتماعي. كما أنه يحتوي على مشاكله الخاصة – أي تفسير الظروف المرتبطة بجوهر الحضارة، واحدة تلو الأخرى."

من منظور ابن خلدون، تُعتبر الحضارة نتاجًا للتفاعل البشري. إذ إن الثقافة ليست شيئًا قائمًا بذاته. القدرة الأساسية للبشر هي كفاءتهم التأملية والعقلانية؛ وعلاوة على ذلك، فإن لدى البشر القدرة على تنظيم علاقاتهم مع الآخرين.

المبادئ الأساسية للعلم الجديد:

- موضوع العلم الجديد هو التجمع البشري.
- مشاكله هي أنماط الثقافة الأساسية.
- منهجه هو الإثبات.

- هدفه هو التمييز بين الحقيقة والزيف في التقارير التاريخية.

أصر ابن خلدون على أنه يقدم علمًا جديدًا يتكون من مجالات مثل: الحضارة الإنسانية، المجتمعات البدائية، الدول، المدن، الحرف، المهن، والعلوم.

تصنيف ابن خلدون

صنّف ابن خلدون المجتمعات إلى تصنيف ثنائي يشمل المجتمعات البدوية (Badawa) والحضرية (Hadara)كما يفهمها علماء الاجتماع الغربيون. تعريفًا بإيجاز، تعني البدوية "ساكن الصحراء" أو "ساكن البادية"، بينما تشير الحضرية إلى "ساكني المدن."

- **المجتمع الريفي :(Badawa Umran)** لشرح مفهوم البداوة في تصنيفه، جادل ابن خلدون بأن الناس البدائيين مرتبطون بالصحراء بسبب أسلوب حياتهم الزراعي. نظرًا لأن المناطق المستقرة لا توفر حقولًا واسعة ومرعى للحيوانات، فإن تنظيمهم الاجتماعي يعتمد على البقاء القائم.
- **المجتمع الحضري :(Hadara Umran)** يشير مفهوم المجتمع الحضري إلى مرحلة ثانوية من التنظيم الاجتماعي. يعيش الناس متجمعين في مدن تشكل دولًا. يرتكز الترتيب الاقتصادي للمجتمع على التجارة والحرف، بالإضافة إلى الزراعة وتربية الحيوانات. هناك مستوى أعلى من الحياة يظهر من حيث الراحة والرفاهية مقارنةً بالمجتمع الريفي.

نظرية الصراع لدى ابن خلدون

شرح ابن خلدون أن التضامن الاجتماعي يلعب دورًا أساسيًا في صعود وانحدار المجتمعات والحضارات. لذلك، يعمل التضامن الاجتماعي "بشكل بنّاء" أو "مدمّر". كانت نظرية الصراع لدى ابن خلدون مبنية على التضامن الاجتماعي. من جهة، يؤدي إلى زيادة تكيف الجماعات الاجتماعية. من جهة أخرى، يولد التضامن الاجتماعي ديناميكيات سلبية تدمر الجماعات الاجتماعية.

التضامن الاجتماعي عند ابن خلدون

أكّد ابن خلدون أن التضامن الاجتماعي هو وظيفة حيوية في تفسير النظرية الدورية للتغيير الاجتماعي. وسّع هذا المصطلح ليشير إلى إطار نظري عالمي معني بفحص التنظيم الاجتماعي البشري. ذكر ابن

خلدون الميزات التالية عند وصف أسس العصبية: "المشاعر الجمعية، وحدة الهدف، مجتمع المصالح الاجتماعية والاقتصادية، والتوحد في المشاعر والعواطف". بناءً على هذه الخصائص، طرح فكرة جديدة أساسية أدت دورًا رئيسيًا في تحول المجتمع، مرتبطة بديناميكية جديدة دافعة. تتحول كل مجتمع من مراحل بدائية إلى مراحل متقدمة من الحضارة، من الريف إلى الحضر. يلعب التضامن الاجتماعي دورًا رئيسيًا في صعود وانحدار الحضارة البشرية.

النموذج الدوري لابن خلدون

حلل ابن خلدون المجتمع بطريقة تجريبية. وعلاوة على ذلك، شرح الظواهر الاجتماعية من خلال مبدأ تطوري للتطور الاجتماعي. تصوّر التطور الاجتماعي على أنه موازٍ لمراحل حياة الفرد: الولادة، النضوج، والموت. من هذا، طور ابن خلدون نظرية للتطور الاجتماعي التي تصوّر تحولًا من الحياة البدائية إلى الحياة الحضرية المتحضرة. اعتقد ابن خلدون أن الدورة السلالية هي "جسر يدمر نفسه لكنه يُعاد بناؤه باستمرار بين عالمين."

اعتقد ابن خلدون أن "المجتمع لها فترة حياة طبيعية مثل الأفراد". وفقًا لعلماء الفلك والأطباء، فإن العمر الطبيعي للإنسان هو 120 عامًا، وهي أقصى مدة للدول أيضًا. اعتقد ابن خلدون أن السلالة لا تدوم أكثر من ثلاثة أجيال. يتطابق عمر الجيل مع عمر الفرد، وهو أربعون عامًا. تسمح هذه الفترة بالوصول إلى النضج والنمو. تلخصت رؤية ابن خلدون في أن الدورة تدوم ثلاثة أجيال وتحدث على مدار خمس مراحل:

- الإطاحة بالمعارضة (مرحلة النجاح).
- تحقيق الحاكم السيطرة الكاملة على شعبه (السيطرة الكاملة).
- مرحلة الترف والهدوء.
- مرحلة الرضا والسلمية.
- مرحلة الهدر والإسراف والانهيار.

ثانيا: أوغست كونت (1798–1857)

ظهر مفهوم علم الاجتماع لأول مرة في مخطوطة غير منشورة للكاتب الفرنسي إيمانويل–جوزيف سيييس (1748–1836). تم إعادة صياغة المصطلح في عام 1838 بواسطة أوغست كونت. كان هدف كونت تطوير علم جديد يمكنه وصف وفهم وشرح التطورات الماضية للمجتمع البشري وكذلك توقع مستقبله بطريقة علمية كما في العلوم الطبيعية. جاءت دوافعه لهذا التطور أساسًا من القضايا والتناقضات التي أحاطت بولادة حياة أوغست كونت. وُلِد كونت في عام 1798 في جنوب مونبلييه، فرنسا. درس كونت في البداية الهندسة، لكنه رفض فكرة والديه عن أن يكون محافظًا، وعلنًا عن نفسه كرجل جمهوري وروح حرة في سن الثالثة عشرة، وقاد شغبًا مدرسيًا، مما أدى إلى فصله من المدرسة في سن الثامنة عشر. انتهى فصله من المدرسة إلى حرمانه من الفرص للتعليم الرسمي أو أن يصبح مهندسًا.

في عام 1817، تعرف كونت على كلود هنري دو روفير كومتي دو سانت سيمون (1760–1825). وظف سانت سيمون كونت كأمين سره وكان تحت إرشاده وتدريبه حتى عام 1824 عندما نشأ خلاف كبير بينهما أدى إلى تفكك العلاقة. على الرغم من الجدل الذي شاركاه، كان كلا الرجلين يتصوران علمًا للمجتمع يمكنه دراسة المجتمع باستخدام مبادئ العلوم الطبيعية. تخيل كونت علمًا اجتماعيًا يختلف تمامًا عن تقاليد السلطة والدين ويعتمد أساسًا على التفكير والملاحظة، كوسيلة حقيقية لاكتساب المعرفة. أطلق كونت على العلم الجديد في البداية اسم "الفيزياء الاجتماعية"، ولكن بعد أن أدرك أن مصطلح "الفيزياء الاجتماعية" قد تم استخدامه بالفعل من قبل أدولف كيتليه، عالم الإحصاء الاجتماعي البلجيكي، صاغ مصطلح "علم الاجتماع" من الكلمة اللاتينية "socius" واليونانية ."logos" وفقًا لكونت، يجب على الإنسان فهم القوانين التي تحكم العالم الطبيعي إذا أراد الاستفادة من بيئته. ساهم كونت بشكل كبير في نمو وتطوير هذا العلم من خلال النقاط التالية.

قانون المراحل الثلاث أو قانون التقدم البشري

اعتقد كونت أن العقل البشري يتطور، تمامًا كما تتطور المجتمعات البشرية بمرور الوقت، يمر بمراحل من البسيط إلى المعقد. وفقًا لكونت، تنمو كل مجتمع بشري، والعقل البشري، وجميع أشكال المعرفة البشرية من خلال ثلاث مراحل مختلفة. تشمل هذه المراحل: المرحلة اللاهوتية أو الوهمية، المرحلة الميتافيزيقية أو المجردة، والمرحلة العلمية أو الإيجابية. العامل الأساسي الذي يحدد الانتقال من مرحلة إلى أخرى في تقدم الإنسان هو كيفية فهم الأفراد لسبب الأشياء أو الأحداث وكذلك وجودهم داخل الكون.

في المرحلة الأولى، المرحلة اللاهوتية، يوضح كونت أن العقل البشري يقدم تفسيرات للأحداث عن طريق نسب السبب أو الأسباب إلى الظواهر الخارقة. غالبًا ما يُنسب الناس في هذه المرحلة الأحداث إلى الله أو كائن إلهي، قائلين على سبيل المثال، إن موت شخص ما أو زلزال هو عمل إلهي كعقوبة على الأفعال الخاطئة أو الغير جائزة في المرحلة الميتافيزيقية ، يقدم البشر تفسيرات للأحداث باستخدام فهمهم لآلية الطبيعة. في هذا الصدد، تطور العقل البشري من التفسير الخارق إلى استخدام أفكار تجريدية، مشتقة من فهم كيفية عمل الطبيعة والحقيقة الواضحة. يتم الحصول على المعرفة في هذه المرحلة من الحدس والحدس والتخمينات. المرحلة النهائية من تطور العقل البشري هي ما أشار إليه كونت بالمرحلة العلمية. في هذه المرحلة، يقدم البشر تفسيرات للأحداث على أساس العلاقة بين السبب والنتيجة. بدأ البشر في شرح القضايا والأحداث من خلال ربط النتائج أو العواقب بأسبابها. وكانت مصادر المعرفة البشرية في هذه المرحلة مستمدة من العمليات العلمية، والسابقة والقوانين استنادًا إلى الحقائق التي تم اختبارها تجريبيًا.

اعتقد كونت أن المرحلة العلمية ستكون المرحلة النهائية في تطور العقل البشري لأن العلم سيوفر تنظيمًا للفروق بين الفصائل السياسية بين النظام والتقدم من خلال القضاء على العوامل التي تستدعي الفوضى الأخلاقية والفكرية. عندما يتم تطبيق الفلسفة الإيجابية، يعتقد كونت أن ذلك سيؤدي إلى توحيد المجتمع والعلوم.

التسلسل الهرمي للعلوم

المساهمة الرئيسية الثانية لكونت في تطوير علم الاجتماع، التسلسل الهرمي للعلوم، مرتبط ارتباطًا وثيقًا بقانون المراحل الثلاث. وفقًا لكونت، تتطور المعرفة العلمية في مراحل من الأكثر بدائية إلى الأكثر تقدمًا بترتيب هرمي، حيث تتنازل البسيط لصالح الأكثر تقدمًا بشكل متتابع. بالنسبة لكونت، لن تصل أي معرفة إلى المرحلة الإيجابية أو العلمية حتى تمر بمعايير البساطة والعمومية والاستقلال عن التخصصات الأخرى.

في تسلسل كونت، كانت الفلك هي العلم الأكثر بدائية وبساطة، والأول الذي تطور. ثم تطور العلم التالي في تسلسل كونت وهو الفيزياء، تلاه الكيمياء، البيولوجيا، ثم علم الاجتماع. تعتمد نشأة كل تخصص على تطور أسلافه على أساس التعقيد المتزايد والعمومية المتناقصة. في هذا الصدد، تُعتبر علم الاجتماع

والعلوم الاجتماعية الأكثر تعقيدًا وتعتمد على التخصصات الأخرى من أجل نشأتها، وهي الأعلى في التسلسل الهرمي. وفقًا لكونت، تعتبر العلوم الاجتماعية الأكثر تعقيدًا من جميع العلوم لأنها تمتلك جميع خصائص التخصصات السابقة بالإضافة إلى استخدام أسلوب التاريخ في البحث حيث يتم التحقيق ليس بالمقارنة ولكن عن طريق التوليد التدريجي.

علاوة على ذلك، يصف كونت علم الاجتماع بأنه "ملكة جميع العلوم"، كونه الأعلى في التسلسل الهرمي للعلوم. ومع ذلك، أشار إلى أنه على الرغم من أن علم الاجتماع يختلف تمييزًا عن أسلافه في التسلسل بفضل امتلاكه خصائص منهجية خاصة، إلا أنه يعتمد عليهم أيضًا. وفقًا لكونت، يعتمد علم الاجتماع بشكل كبير على علم الأحياء. كونه الأقرب إلى علم الاجتماع في التسلسل، يختلف علم الأحياء عن العلوم الأخرى في خصائصه الشمولية. على عكس العلوم الأخرى مثل الفيزياء والكيمياء، يركز علم الأحياء على دراسة الكليات العضوية. هذا التركيز على الكل العضوي أو الشمولي يربط علم الأحياء بعلم الاجتماع. تشمل بعض الأساليب البيولوجية المستخدمة في علم الاجتماع التشبيه العضوي من بين أمور أخرى. بالنسبة لكونت، لا يمكن أن يكون هناك علم للمجتمع حيث تتم دراسة عناصر الكل في عزلة عن بعضها البعض. وبالتالي، كان يعني أنه لا يمكن دراسة الإنسان كعنصر من المجتمع في عزلة عنه. من أجل فهم صحيح لعمل الإنسان أو المجتمع، يجب أن يتم التحقيق من البسيط إلى المعقد. هذه إحدى الميزات التي تميز علم الاجتماع عن أسلافه. وفقًا لكونت، فإن النهج الصحيح لعلم الاجتماع هو رؤية كل عنصر فردي في ضوء النظام بأكمله.

الثوابت الاجتماعية والديناميكية الاجتماعية

تعتبر مساهمة رئيسية أخرى قدمها كونت لنمو وتطوير علم الاجتماع هي نظرية الثوابت الاجتماعية والديناميكية الاجتماعية. بالنسبة لكونت، فإن التمييز بين الثوابت الاجتماعية والديناميكية الاجتماعية في علم الاجتماع يشبه التمييز بين الفسيولوجيا والتشريح في علم الأحياء. وفقًا لكونت، تتعلق الثوابت الاجتماعية والديناميكية الاجتماعية بفكرة النظام والتقدم. تتعلق الثوابت الاجتماعية بكيفية الحفاظ على النظام في المجتمع، والتوافق الدائم بين شروط الوجود الاجتماعي. تعتبر الثوابت الاجتماعية في وجهة نظر كونت مهتمة بكيفية عمل عناصر النظام الاجتماعي معًا لضمان الاستقرار والانسجام والتماسك داخل المجتمع. يتشابه موقف كونت في الثوابت الاجتماعية مع مفهوم دوركهايم عن الوظائفية. وفقًا لكونت، تشمل عناصر المجتمع التي تساعد في الحفاظ على الثوابت الاجتماعية؛ اللغة، الأسرة، الدين،

وتقسيم العمل. من ناحية أخرى، تركز الديناميكية الاجتماعية على التغيير الاجتماعي أو كيفية تغير المجتمع بمرور الوقت.

تأسست فكرة كونت حول الديناميكية الاجتماعية على قانون التقدم البشري/ قانون المراحل الثلاث للعقل البشري. وفقًا لكونت، ينمو المجتمع البشري ويتطور أو يتغير كما يتطور العقل البشري من المراحل اللاهوتية إلى الميتافيزيقية إلى الإيجابية. لذلك، يُنظر إلى الثوابت الاجتماعية على أنها عملية تطور تدريجي حيث أصبح الناس أكثر ذكاءً، وأصبحوا أقل اعتمادًا على المعرفة المولدة من خلال العقيدة ويركزون على المعرفة العلمية. لذلك، يُعتبر الثوابت الاجتماعية مرادفًا للنظام، بينما تُعتبر الديناميكية الاجتماعية مرادفًا للتقدم أو التغيير الاجتماعي. يمكن أن تتعدل أو تتسارع عملية التغيير الاجتماعي أو الديناميكية الاجتماعية من خلال أفعال البشر، ولكن في النهاية، يُتوقع تطوير المجتمع وفقًا لقانون المراحل الثلاث للعقل البشري.